# اللغات المتخصصة والمصطلحات العلمية في القرية الكونية

صباح فرّاح
جامعة المسيلة

ملخص :

يستنبت العالم المتطور في اللحظة الحضارية الآنية العلم بلغاته، ويخترع ويمطر العالم يوميا بمصطلحات جديدة. وهكذا تجد العربية نفسَها مضطرّة لمواكبة هذا التطور العلمي، وهذه المبتكَرات اللغوية مصطلحياً؛ فهي مطالبة باللَّحاق بالركب الحضاري الغربي، وبمسايرة زخمه المصطلحي في شتّى الميادين المعرفية. ولن يتحقق هذا الأمر إلا بتوليد المصطلحات، لتسمية المفاهيم العلمية التي ترد من الغرب يوميا بأعداد هائلة، بما يعرف بالصناعة المصطلحية. أما لغة التخصص فهي متعددة الأوجه والأشكال لذا وجب علينا تناولها بصيغة الجمع فنقول بأن "لغات التخصص" أو "اللغات المتخصصة" تعبير عام يراد منه تعيين اللغات المستعملة في مواقف تواصلية "كتابية أو شفوية" تختص بنقل معلومات تنتمي لحقل تجربة خاصة. ولاتتمثل الإشكالية في قصور اللغة العربية في جوهرها وإنما دفعها نحو ولوج الفضاء اللغوي العالمي لأن الثورة المستمرة في مجالات الإعلام والمعلومات ستساهم في تحقيق المزيد من التثاقف، شرط وجود مشاريع لتأهيل الأمة نحو استئناف دورها الحضاري، ونطمح إلى إضافة ما أضافه المهاجرون الصينيون للصين بالصينية لابغيرها. ولاتتمثل الإشكالية في تباين المشارب والمناهج، وإنما في التعليم العلمي بغير العربية، ولذا وجب أن تكون ترجمة واستحداث المصطلحات العلمية الدقيقة قضية قومية

تتطلب وضع استراتيجية لها. ورغم ذلك فإن العربية برهنت على عظمتها، سيما باتساعها للمصطلح، وتعديلها وتكييفها له لنقل العلوم والمعارف، مع بعض الإشكالات التي تشوبها وإن كانت لا تنفرد بها. كما يجب أن يتوقف الدارسون عن ازدراء هذه اللغة العظيمة، وأن يساهموا في نقل المصطلحات العلمية من اللغات الأجنبية المبتكرة للعلوم إلى اللغة العربية بواسطة الترجمة والتعريب والإستحداث المصطلحي الذي سيرفع لامحالة مكانتها ومكانتهم معها فاللغة هي وعاء الثقافات الفكري والحضاري الذي يتم به الرقي في كل النواحي.

## 1. مدخل:

سنحاول الإجابة في هذه المداخلة عن بعض التساؤلات المرتبطة باللغات المتخصصة والمصطلحات العلمية العربية، ومنها: ماحقيقة اللغات المتخصصة وطبيعتها في ظل تعدد العلوم المرتبطة بها وتمايزها؟ وما مدى مواكبة المصطلحية العربية لنظيرتها الأجنبية التي تبتكر العلوم وتستحدثها في كل حين؟ وهل استوفت الدراسات المصطلحية عند العرب جميع مقتضيات مفهوم "المصطلحية" كما هو متعارف عليه بالدول المتقدمة بحثا وتحقيقا (توثيقا) وبناء وتقييسا؟ أم هي مصطلحية لها خصوصيتها الرهينة بسياقها التاريخي الذي نشأت فيه؟ أم أنها لا تعدو أن تكون عملا مصطلحيا ليس إلاّ لم يرقَ بعد إلى تأسيس نظرية اصطلاحية متكاملة الجوانب؟ وما مواصفات العمل المصطلحي العربي وماقيمة إنجازاته الراهنة وآفاق مشاريعه المستقبلية في القرية الكونية ؟

## 2. مقـدّمـة

إن الإنفجار الإعلامي الذي نواكبه في القرن الواحد والعشرين، وظهور طرق الاتصال السريع ذائعة الصيت، التي يفترض أن تسهل لأعداد متزايدة من الأفراد المنتشرين في العالم الإطلاع المباشر على المعرفة والتقدم العلمي والتقني،

يطرح عملياً مسألة السيطرة على هذا السيل من المعلومات الذي تضعه وسائل الاتصال في خدمة الإنسان، الذي بات يعيش في عالم أشبه مايكون بالقرية الكونية التي تلاشت الأبعاد فيها وغدت مجرّد أوهام في ظل التطور الكبير الحاصل. وتظهر إشكالية السيطرة تلك في المجال اللغوي لأن اللغة هي الأداة التي يملكها الإنسان ليعبر بها عن أفكاره، وينقلها إلى الآخر، وإنه لمن الضروري أن يستخدم الإنسان هذه الأداة استخداماً صحيحاً لتأمين الرسالة، وتأويل مضمونها.

واللغة هي وعاء الأمم الفكري في كل مكان وزمان، وهي المرآة الصادقة التي تعكس في تراثها ومحتوى مفرداتها ثقافة الشعوب حيث تعطي الدليل المادي على مدى تقدم الأمة الحضاري. وتعد اللغة العربية من أغنى لغات العالم بالمفردات ومن أوسعها قدرة على الإشتقاق، وهي ذات طبيعة ترادفية، ويقول المؤرخ العالمي سارتون، وهو من أشهر مؤرخي العلوم في العالم المعاصر: بأن خزائن المفردات في اللغة العربية غنية جداً، ويمكن لتلك المفردات أن تعطي بلا نهاية، ذلك أن الإشتقاق المتشابك، والقدرة على النحت يسهّل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة. وهذا يدفعنا إلى القول بأن اللغة العربية تتميز بخصائص رائعة تجعلها في مصاف اللغات العالمية، ويمكنها أن تكون لغة علمية دقيقة إذا استطاع العلماء واللغويون العرب أن يغوصوا في أعماقها، ويبحثوا عن أسرارها اللغوية ويستفيدوا من طبيعتها الترادفية وقدرتها الإشتقاقية ليستحدثوا مصطلحات تواكب التقدم الحضاري والفكري الذي وصلت إليه الأمم المتقدمة.

ويختلف المصطلح بدوره عن المفردة لأنه دال وُضع لمدلول مسبق وكائن، وكونه مصطلحاً عليه لا يختلف عليه اثنان، وإن كان كذلك، وهو بالفعل كذلك، فهو يجعلنا نقول: إن التقابل القائم بين مفردة أجنبية ما ومقابلها في اللغة العربية أكثر تذبذباً، وأسرع تغيراً، وأدعى إلى عدم الإستقرار في السياقات اللغوية المتنوعة، وهذا مختلف عن قولنا: إن التقابل القائم بين

مصطلح أجنبي ومقابله العربي يجب أن يكون ثابتاً في الصيغة والمفهوم مهما اختلفت سياقاته اللغوية.

## 3. اللغة العربية ومفهوم التخصص:

إن التراث العلمي العربي مليء بالتعابير الدقيقة والمصطلحات العلمية التي يمكن استعمالها أو تحويرها كي تلائم ظروف الحياة العلمية المعاصرة. والحقيقة أن أكثر المجامع اللغوية في العالم العربي، مثل المجامع اللغوية في مصر والعراق وسوريا والأردن ومكتب تنسيق التعريب بالمغرب تبذل جهوداً كبيرة في ترجمة وتعريب المصطلحات العلمية في مختلف فروع العلوم والتكنولوجيا، ولكن ينبغي أن تتوحّد هذه الجهود وتتناسق وتتدعم بالتعاون فيما بينها وبين الجامعات والمعاهد، ودور النشر ومكاتب الترجمة في كل مكان من العالم العربي. كما أن ترجمة الكتب العلمية في مختلف فروع العلم وتأليف الكتب العلمية وكتابة الأبحاث باللغة العربية من أهم الأسباب التي ستدفع بالتعريب العلمي إلى الأمام، وتجعل الجامعات أكثر ارتباطاً بقضايا الأمة العربية والإسلامية وأكثر التصاقاً بالمجتمع بمختلف طبقاته.

وإن الباحث المتمرّس في اللغة العربية يجدأن كلمات في التراث العربي لازالت معانيها تستخدم في اللغات الأوروبية وبنفس لفظها العربي تقريباً، وأختار هنا بعض الكلمات من علم الكيمياء للتدليل على ذلك مثل: الكحولAlcohol، الزرنيخ Arsenic، القلويAlkali، غاز Gas، ... وكثير غيرها من الكلمات العربية التي تستخدم في اللغات الأوروبية في مختلف فروع العلم. وهذا دليل على أن العربية لغة غنية تتّسع للمصطلح العلمي مهما كان نوعه ومجاله، إذ يكفي فقط أن نبذل بعض الجهد للتمحيص فيها وإيجاد مايناسب المصطلح الأجنبي وضعا أو ترجمة وتعريبا وغيرها من الأساليب التي تزخر بها اللغة العربية. ونظراً لطبيعة اللغة العربية الترادفية وغناها بالألفاظ الوصفية والحسية فإنها تستطيع أن تفرّق بدقة بين كثير من المصطلحات العلمية، ولا مجال هنا لذكر الأمثلة فهي كثيرة.

إن لغتنا العربية هي عنوان مجدنا ومرآة تقدمنا الحضاري، وهي وعاء ديننا ومشاعرنا الإسلامية والعربية في كل مكان وزمان، فهل نتقاعس عن اللحاق بالركب الحضاري وهل نتوانى في أن نكون خير أمة أخرجت للناس ! أرجو أن تكون الإجابة نابعة من القلب منبعثة من أعماق إدراكنا العلمي بأنه لا حياة لأمة دون لغة تعبر عنها في كل شيء وتساهم بنصيب كبير في الإنتاج العلمي والحضاري، وتعكس صورتها وهويتها الحقيقية دون الذوبان والإضمحلال الكلي في الآخر المختلف.

ويعتبر مفهوم التخصص نسبيا، فكلّ من لم يكن طبيبا أو مهندسا أو رجل قانون يرى كلا من الطب أو الهندسة أو القانون على أنّها تخصّصات. وإذا قبلنا بأن كل علم هو اختصاص بذاته، فإنه يجب علينا أن ندرك داخل مجاله ما يمكننا تسميته بـ "الإختصاصات الداخلية". إن لكل لغة مختصة مستويات لغوية تتحدد حسب استخدامنا لها، وإن اللغة العلمية في كتب العلوم الطبيعية التعليمية تختلف عن لغة الاتصالات العلمية التي يستخدمها المهنيون لوصف الاختراعات العلمية؛ فنجد أن كل لغة مختصة تتميز بمصطلح وبأسلوب خاصين بها، وأننا نميز في المجال التقاني بين النصوص الوصفية والحجاجية Argumentatifsوالتفسيرية والفرضية Prescriptifs، كما تفعل مونيك كورمييهMonique Cormier[1] .

## 4. مفهوم اللغات المتخصصة:

إن أكثر الأوصاف تداولا في باب نعوت لغات العلوم وصفا "اللغات المتخصصة" و"قائمة المصطلحات"، كأن نقول مثلا "لغات العلوم المتخصصة" أو "مصطلحات العلوم المتخصصة". إلاّ أن التمييز بينهما يحصل من خلال إحدى مقدمات الفكر اللغوي التي تفيد وجود فرق جوهري بين قوائم الألفاظ وهي معزولة عن مجال التركيب، والمفردات وهي موضوعة في تركيب ما. وهكذا تعرّف اللغة في البحث اللساني، بالمعنى الأكثر شيوعا وتداولا، بأنها "أداة للتواصل ونسق من العلامات اللفظية الخاصة بأشخاص ينتمون إلى عشيرة

واحدة"[2]. إنّ خاصية "النسق" تعني أن مفهوم اللغة لا ينحصر في المفردات وحدها[3]، وإنما يمتد ليشمل أنواع العلاقات التي تجمع بينها، وأنماط الضوابط والقواعد التي تشرّع هذا الجمع في لغة معينة، كما أن خاصية "التواصل" تفيد هذا المعنى ذاته، لأنّ "فعل التواصل لا يُنجَز بالألفاظ منفصلا بعضها عن بعض، وإنما يتحقق بها وهي متراكبة"[4].

ولمّا كان هذا التمييز مقبولا في اللغويات المعاصرة فإن ما ينتج عنه، من الناحية التطبيقية، هو عدم استعمال وصفي "المصطلحية" و"اللغة" بمعنى واحد. وهذا ما تفي به المعاجم الغربية الخاصة بمصطلحات علم اللغة، إذ لم يخلط في مقدماتها بين الحديث عن "المصطلحية" والحديث عن "اللغة المتخصصة"، كما أن هذين الوصفين لم يستعملا في المدخلين المصطلحيين اللذين خصصا لهما في بعض منها، بمعنى واحد، إذ هما فيها مفهومان متمايزان. ونمثل لهذ ا الوضع بتعريف كل من ديبْوا لمصطلح "المصطلحية" وتعريف كاليسون وكُوست لمصطلحي "المصطلحية" و"اللغة المتخصصة"، فالمصطلحية عند ديبوا هي "مجموعة من المصطلحات المعرّفة بدقة، يُعيّن العلم بواسطتها مفاهيمه"[5]. ويقترب هذا التحديد من التعريف الذي صاغه كاليسون وكوست بقولهما: "المصطلحية هي مجموع المصطلحات التي تحيل على مفاهيم أو على أشياء تنتمي إلى مجال معرفي أو إلى نشاط بشري خاص"[6].

يتضح من خلال ما تقدم أن مفهوم اللغة المتخصصة أعمّ من مفهوم قائمة المصطلحات، فبينهما علاقة كلّ بجزء، وفي هذا السياق لخص ككوريك هذه العلاقة بقوله: "لغة الاختصاص هي أكثر من مجرد أسلوب أو مدونة أو ملفوظات أو قائمة مصطلحات تخصص"[7]. فلم يعد جائزا، حسب لورا "اختزال مفهوم اللغة الخاصة في قائمة مصطلحات، لأن اللغة الخاصة تستخدم تسميات "المصطلحات"، بما فيها الرموز غير اللسانية، في أقوال تُوظف الوسائل العادية للغات الطبيعية".[8]

## 5. تعريف اللغات المتخصصة:

"توصف اللغات الموظفة في التعبير عن مضامين العلوم بـ "اللغات الخاصة[9]" (Langues spéciales) أو "اللغات المتخصصة"[10] (Langues spécialisées) أو "لغات التخصص" (Langues de spécialités) [11] أو "لغات الأغراض الخاصة"[12] (Languages for Special Purposes) وهي في مجموعها، أوصاف مترادفة تفيد المعنى نفسه، وهو اختصاص هذه اللغات بمجالات علمية محددة. ويتأسس نعت "لغات العلوم" باللغات الخاصة، و بالتالي تمييزها في التسمية عن اللغات العامة، على مبدإ معرفي أوّل مفاده أ ن كل لغة تناسب تنظيما خاصا لمعطيات التجربة .فَتعلُّم لغة أخرى لايعني وضع أسماء جديدة لموضوعات معروفة، بل التأقلم على التفكير بكيفية مغايرة"[13].

لنتأمل التعريفات التالية:

أ- "لغات التخصص" أو "اللغات المتخصصة" تعبير عام يراد منه "تعيين اللغات المستعملة في مواقف تواصلية "كتابية أو شفوية" تختص بنقل معلومات تنتمي لحقل تجربة خاصة"[14].

ب- "اللغة الخاصة أداة ناقلة لمعارف خاصة"[15].

ج- "اللغة الخاصة لغة –فرعية (sous-langue) عن اللغة العامة مزودة بخطوط عمودية واختزالات اصطلاحية ورموز ألفبائية، يتم إدماجها بكيفية ملائمة للقيود النحوية للغة العامة، تحمل مضمونا معرفيا خاصا"[16].

يبدو من خلال هذه التعريفات أنها تنص جميعا على إبراز البعد المعرفي للغات الخاصة، إلا أن التعريف الأخير يضيف لهذا البعد أمرا آخر، يتعلق بطبيعة هذه اللغة. وهذا ما سنتناوله في الفقرة الفرعية الموالية.

## 6. حقيقة اللغات المتخصصة :

عرف البحث في قضايا اللغات الخاصة قيام نماذج تحليلية مختلفة حاولت كلها ضبط طبيعة هذه اللغات ومكوناتها، وذلك في سياق تساؤل أصحابها عن موقع لغة العلم من مجموع استعمالات ألفاظ اللغة العامة وتراكيبها، وكذا عن مدى سلامة القول باستقلاليتها، المطلقة أو النسبية، عن ضوابط النسق العام الذي تفرضه اللغة على كل مستعمليها، فكان من نتائج هذا البحث شيوع مقاربتين اثنتين.

### 6. 1. اللغات المتخصصة "لغات فرعية":

تعيّن هذه المقاربة الحدود الفاصلة بين اللغات المتخصصة واللغة المشتركة بكيفية جذرية، فلا تعتبر لغة العلم لغة طبيعية، وإنما تنظر إليها بوصفها لغة فرعية، أو مجموعة فرعية، عن اللغة الطبيعية. ومن الذين اشتغلوا بهذه المقاربة نذكر ككوريك، حيث يقول: "يبدو من البديهي أن تصنيفا للغة إلى مجموعات فرعية ضروري ومشروع كلما أردنا حصر موضوع معرفة ما"[17]، وبما أن المعرفة ليس لها موضوع واحد، فقد جاز لككوريك أن يتحدّث عن لغات فرعية، فهناك "اللغة الفرعية الجمالية" و"اللغة الفرعية الشعرية" و"اللغة الفرعية التقنية" و"اللغة الفرعية العلمية". فهذه كلها لغات فرعية بعضها يقترب من نسق اللغة الطبيعية وبعضها الآخر يبتعد عنه. وهكذا نجده يقترح استعمال مصطلح "لغات التخصص" بصيغة الجمع، حيث يقول: "إننا نتحدث اليوم عن لغات التخصص، كما نتحدث عن الفرنسيات الجهوية وعن الفرنسيات المتخصصة أو عن الإنجليزيات الوظيفية".[18]

### 6. 2. اللغات المتخصصة "لغات طبيعية" :

تتأسس هذه المقاربة على افتراض أن نسق اللغات المتخصصة يشكّل امتدادا لنسق اللغة الطبيعية واستمرارا له، وأن الإختلاف بينها يكمن في المستوى المعجمي، و في بعض الأشكال التعبيرية التي لاينبغي أن تحجب عن أنظارنا حقيقة ذاك الامتداد وتلك الاستمرارية، إذ تُستعمل مصطلحات علم ما

كيفما كانت طبيعتها في نصوص مكتوبة باللغة الطبيعية، ويمكن أن يوصَف المضمون العلمي الواحد بلغات تختلف باختلاف لغات وألسن الواصفين[19].

وما يتغير في تصور أهل هذه المقاربة هو مايستطيع الناس تغييره، ويتعلق الأمر بالتعيينات والتسميات، أما النسق الأساس للغة فلا يتغير ولا يتعدد[20]، فهو على حد تعبير هاجيج "النواة الصلبة [21]" (le noyau dur) . لذلك اعتبروا "مفهوم اللغة الفرعية مفهوما غير دقيق بما فيه الكفاية[22]". وبما أنهم قد احتكموا في رفضه إلى خاصية النسق، فإن تعريفهم للغة المتخصصة كان نابعا من صلب هذه الرؤية، فقالوا في تعريفها: "إنها اللغة الطبيعية الحاملة لمعارف خاصة"[23].

ويتمثل جوهر الإختلاف بين هاتين المقاربتين في المفهوم الذي تخصصه كل واحدة منهما للغة، فإذا كان لُورا مثلا، وهو من دعاة المقاربة الثانية يـميّز بين اللغة التي هي نسق من القواعد واستعمال اللغة الذي هو ممارسة لتلك القواعد في مايتم إنجازه من العبارات والجمل، فإن كُكُوريك[24]، (من مؤسسي المقاربة الأولى) لاينطلق في وصف اللغة المتخصصة بـ "اللغة الفرعية" من هذا التمييز، لأنه يستعمل مصطلح "اللغة" بالمفهوم الذي خصَّه به التقليد اللساني الفرنسي. والمعلوم أن المراد به في الأدبيات اللغوية الفرنسية هو "مجموع الاستعمالات اللغوية التي تتضمنها لغة ما"[25] .

وعليه فإن وصف اللغات المتخصصة بـ "اللغات الفرعية" لا يعني، في تصور ككوريك وجود نسق لغوي فرعي، وإنما يفيد وجود استعمالات لغوية فرعية لاتخرق ضوابط النسق اللغوي العام؛ حيث يقول: «إن الحديث عن هذه الاستعمالات بلفظ "لغة التخصص" أو بلفظ "فرنسية التخصص" ليس سوى تغييرا في العبارة، مع الإشارة إلى أن الأمر لايتعلق إلاّ بلغة فرعية عن اللغة ككل.» [26] ولا شك أن هذه الأسماء لن تمثل شيئا آخر غير مصطلحاته. ومعنى هذا أن نشأة العلم تكمن في نشأة المصطلح، ولايتوقف هذا التوازي عند حد البدء، وإ نما يستمر باستمرار العلم في كل تطوراته لأن

جزءا هاما من النشاط العلمي ليس مخصصا للإختبارات، وإنما للصياغة المصطلحية والتعبيرية عن المفاهيم والنتائج.

وتحوي اللغات المتخصصة مجموعة من الكلمات أوالنماذج التركيبية واضحة المعالم، التي يقبلها مجتمع لغوي يمارس نفس أنواع النشاط (كالقضاة والأطباء وغيرهم). إذن فاللغات المتخصصة هي لغات ضمنية يفترض أن يعرفها "خبراء" نفس العلم، وهي خفيّة نوعا ما بالنسبة "للجاهلين بها"، و حتى بالنسبة "لخبراء" العلوم الأخرى. فالخطاب المتخصص تقنيا كان أو علميا هو لغة ضمنية فرعية لها طريقتها التّعبيرية الخاصّة، ويبتدئ بمجرّد أن يتجاوز المتحاورون حدود الموروث اللساني المشترك للحوار في جلسة مغلقة؛ ونقصد بهذا في مجالهم العلمي المتخصص. وإذا ماكانت اللغة المشتركة هي تلك التي نستعملها في حياتنا اليومية، فإن اللغة المتخصصة هي تلك المتعلقة بالتواصل الواضح (دون غموض) في مجال معيّن من مجالات المعرفة أو تطبيقه، الذي يرتكز على المعجم وعلى استعمالات لغوية خاصة بها.

## 7. حدود وآفاق البحث المصطلحي بالعالم العربي

اللغة عنوان رقي الأمة، ولا حركية للغة دون حركية المصطلح الذي هو عصب اللغة العلمية وعماد مفاهيمها التقنية والإجرائية، وتقاس أهمية اللغة بقدرتها على التبليغ ومواكبة المستجدّ من المفاهيم العلمية والحضارية. ولَمَّا كانت العلوم والفنون والتقنيات دائبة التطور والإتساع كانت بنياتها الإصطلاحية دائمة التحوّل، فالمعارف العلمية متغيِّرة حقا، ويتخذ تغيرها شكل "التراكم"، بإضافة الجديد إلى القديم، ومن ثمَّ فإنّ نطاق المعرفة بشتى التخصصات ما فتئ يتَّسِع باستمرار. وإذا سلّم العديد من المفكرين بالتوازي القائم بين اللغة والفكر، فقد يحصل أن لا يواكب التطور اللغوي التطور الفكري، فيهرع أصحاب اللغة إلى وضع اصطلاحات هجينة لتسمية المفاهيم المستحدثة.

ولعلّ أهمّ الإشكاليات المرتبطة بالبحث المصطلحي، التساؤل عن طبيعة المصطلحية، هل هي: معجم لغوي خاص؟ أم هي لغة خاصة تختلف في بنياتها ودلالاتها عن اللغة العامة؟ هل هي منهج؟ أم دراسة وبحث؟ أم عملية بناء المنظومات المصطلحية وتقييسها؟ أم هي كلّ هذا وذاك؟

من دلائل الاضطراب الإصطلاحي باللغة العربية تعدد التسميات الناعتة للعلم الذي ينظر في المصطلحات، فنجد "علم المصطلح"، و"علم الإصطلاح" و"دراسة مصطلحية"، و"معجمية خاصة"، و"معجماتية متخصصة"، و"مصطلحاتية"، و"مصطلحية" إلى غير ذلك من المقابلات التي وضعها الدارسون العرب لتكافئ ما عُرِفَ عند الغربِيين باسم: "Terminologie ".

## 8. ماهية المصطلح:

لم يخرج تعريف كلمة مصطلح (TERME) عند الأوروبيين عن تعريف اللغويين المحدثين العرب؛ فهو "لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الإستعمالات أو معنى خاص بعلم أو فن". يقول صاحب "قاموس اللسانيات": "إن كل تخصص بل كل علم بحاجة إلى مصطلحات يشير بها إلى تصورات محددة: وهذه المصطلحات هي التي تكوِّن مصطلحيته"[27]. أما "جوزيت ري" ( JOSETTE REY-DEBOVE ) فتعرِّف المصطلح من خلال موقعه في إطار المصطلحات الأخرى داخل التخصص فتقول: "المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس، يكون تسمية حصرية (تسمية لشيء) ويكون منظما (أي في نسق متكامل) ويطابق دون غموض تصورا أو مفهوما"[28].

إنّ الطبيعة التحليلية لهذه التعريفات تحدد المصطلح من حيث أنه تعبير خاص وضيق في دلالته المتخصصة، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات ميدان معرفي محدد. وكما يبدو فإنّ هذه التعريفات الهيكلية للمصطلح تطرح مسألتين أساسيتين هما:

- الدلالة على موقع المصطلح في حقل موضوعي خاص .
- إبراز خصائص المصطلح من خلال تعريفه بدقة وشمول حيث يخضع شكل المصطلح للقاعدة المعروفة في المصطلحية: لكل مصطلح مفهوم ولكل مفهوم مصطلح.

وأود هنا أن أركز بشكل محوري على أن المصطلحيين، في تعريفهم للمصطلح، قد ربطوا بينه وبين المفهوم أو التصور فعرّفوه بأنه الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد؛ وقد عرّف فيلبر (FELBER) المفهوم بقوله: "إنه عبارة عن بناء عقلي ... فهو بإيجاز الصورة الذهنية لشيء معين موجود في العالم الخارجي أو الداخلي... ولكي نبلغ هذا البناء العقلي – المفهوم – في اتصالاتنا، يتم تعيين رمز له ليدل عليه».[29]

## 9. 1. تحقيق النموذج المصطلحي:

إن المثال الذي توخّته المصطلحية والمصطلحاتية لوقت طويل، وأصبح الهدف المنشود في كل الثقافات الإنسانية هو إقامة تطابق بين التسمية الواحدة من جهة والموضوع أو المفهوم الواحد من جهة أخرى. ولقد شهدنا اللغات قديما تتفاخر باحتوائها على مئات المترادفات للمفهوم الواحد (كأسماء السيف- الأسد- الجمل- الصحراء- الريح..)، واشتمالها على المشتركات اللفظية، إلاَّ أنَّ مقتضيات العصر الحديث (عصر التفجر العلمي والتقني) فرضت ضرورة التطابق الأحادي بين المصطلحات اللغوية والمراجع التي تحيل إليها. فاللغة المرجعية يجب أن تضمّ رصيدا من الكلمات والمصطلحات بقدر عدد العناصر المحال إليها في العالم المحسوس والمُدرك.

وتم النظر إلى مجالات المصطلحية والمصطلحاتية من منظور "أونومازيولوجي" حيث يتطابق عالم المفاهيم بمجموعة من المصطلحات بشكل أحادي الدلالة خالية من اللبس والإشتراك والترادف وانزياح الدلالات الملاحظة بالإستعمالات

المجازية. والملاحظ أن الواقع اللغوي المُكَوّن من خاصيتين متلازمتين: اعتباطية الأسماء والتعدد الدلالي، يصعُب معه القضاء نهائيا على ظاهرة "الترادف الاصطلاحي" سوى بتطبيق صارم للقاعدة:

مصطلح **س 1** ـــــ شيء **س** وشيء **واحد** فقط

أما النتيجة التي آلت إليها دراسة "آلان راي" في عام 1979، والتي تعدّ من أبرز الإسهامات العلمية الهادفة إلى وضع أسس هذا العلم الفتيّ "المصطلحية" فهي نظرة تشاؤمية إلى مبدإ "الأحادية الدلالية"، حيث شكّك الباحث في إمكانية تحقيق مصطلحية دقيقة خالية من الإشتراك والترادف.

ونحت النظريات المصطلحية الحديثة نفس المنحى بإقصائها النظرة المعيارية للمقاربة المصطلحية الكلاسيكية، وطرحت إمكانية أن يأخذ المصطلح عدة تمثلات لسانية بقدر السياقات الخطابية التي يظهر فيها. وكان من نتائج الإتجاه نحو إدراج المصطلح في السياق اللساني، ودراسة مواصفاته الدلالية في استعمالاته المختلفة قبول ظواهر الإشتراك والترادف والتعدد الدلالي في العملية الاصطلاحية، مما استدعى من المصطلحيين القيام بدراسات ترصد التغيرات الدلالية للمصطلحات. ويتجلى استقلال "المصطلحية" عن باقي العلوم التي ارتبطت بها لقرون عدة في تأسيسها لرصيدها الإصطلاحي الخاصّ. وإذ جاءتْ "المصطلحية" في شكلها الحديث أواسط القرن الماضي لتضطلع بمهمّة التأكد من الإستعمال الدقيق للمصطلحات؛ فإن كل الإرهاصات التي سبقت هذه النشأة الرسمية أبانت عن وعي رواد النظر بالفكر العربي الإسلامي بشتى حقوله المعرفية بأهمية مفاتيح العلوم المستغلقة، والمتمثلة في أدواتها الوصفية ألا وهي "المصطلحات".

إن جميع المعطيات تفيد وتقر أن العالم العربي المعاصر واع كل الوعي بقضية المصطلحات لأسباب استوجبتها تقاليده الثقافية والحضارية، وفرضتها ضرورة أحكام المعاصرة والحداثة. فالنهضة العربية الحديثة، على ما فيها من

سلبيات وإيجابيات، تعتبر مغامرة لغوية لأن العرب المحدثين قد نظروا إلى الحضارة العصرية وإلى التقدم من خلال اللغة، فالنصوص المتوفرة من بداية النهضة حتى يومنا هذا تشهد عموما بأنهم تصوروا الحضارة لغوية معجمية، تدرك من خلال معجم سحري جامع شامل يشفي غليل السائلين ويحصنهم من الحيرة ويخرجهم من التخلف إلى النور.

ويبدو أن الحضارة الحديثة تدرك عندهم بمعجزة لغوية مثلما نشأت حضارتهم العربية الإسلامية بمعجزة القرآن وإعجازه، وبالتالي فإن الوعي الحضاري يستوجب عندهم وعيا لغويا، وما إليه من وسائل ومنهجيات أساسها اللغة، مما يوحي أن التطور الحضاري ينعكس في التطور اللغوي الإصطلاحي، فهو "على قدر ما يتوفر من مصطلحات وما تشمله من مفاهيم وميادين"[30]. ومما يوحي بسيطرة هذا التصور أن الحمزاوي يقترح نظرية للمصطلح في العربية غرضها وضع أسس وقواعد لصياغته وتيسير أمره، خاصة أن ". . . اللغات الحضارية الرائدة قد وضعت لنفسها علما للمصطلحية وسعت إلى تقنينه وتنظيره. . . "[31].

ومما يشير إلى أن المصطلح لا يمثل إلا مشكلة جزئية أن التقدم في العلم المعاصر يعبَّر عنه باللغة الإنجليزية مثلاً من غير أن يصحب ذلك اهتمام مماثل بقضايا المصطلح؛ وعلى الرغم من اهتمام الدراسات اللسانية المعاصرة بجوانب اللغة الإنسانية كلها، فإنها لم تعط المصطلح اهتمامًا خاصًّا إلاّ في اللغات التي تشعر بالتخلف عن اللغة الإنجليزية في استخدامها لغة علمية عالمية. وتقول 'آن إيزنبرج' عن الوضع في اللغة الإنجليزية: "إن غلبة اللغة الإنجليزية (لغة العلوم) لا تعود أساسًا إلى أي ميزة لغوية طبيعية فيها، فصحيح أنها غنية غنى غير عادي في كلماتها، فهي لاتقاوم الكلمات الجديدة، بل ترحب بها، خاصة في العلوم والتقنية: إن ما أدى إلى انتشار اللغة الإنجليزية لم يكن المعجم المتسامح، بل إنه الريادة العملية (لأمريكا خاصة)"[32] وبـهذا نتوصل إلى النتائج التالية:

1- أن المصطلح لا يختلف في طبيعته عن كلمات اللغة الأخرى.

2- أن المصطلح لا يصاغ بمعزل عن البحث العلمي، بل ينشأ أثناءه.

3- أن عمل قواميس المصطلحات عمل تاريخي يأتي بعد أن توضع المصطلحات وتستعمل.

4- أن الشكوى من المصطلحات ليست وقفًا على العرب.

5- أن مشكلات البحث العلمي اللغوية ليست بسبب غياب المصطلحات الملائمة بل تعود لأسباب غير لغوية.

إذ يظن كثير من المهتمين بقضية المصطلح أنه يصاغ بشكل محدد خاص به يختلف عن صياغة كلمات اللغة الأخرى، لذلك نجدهم يقترحون طرقًا ووسائل يرونها لازمة لذلك، وهذا سرّ وجود النظريات الكثيرة التي يدّعون أنها سوف تضع الأطر الوافية لحل هذا المشكل.

### 9. 2. وسائل وضع المصطلح:

ولقد عرض عبد السلام المسدي آراء العلماء العرب الأقدمين في هذا الشأن عرضًا يتبين منه أن وضع المصطلحات عندهم يمليه قصور المعجم المتوفر عن تسمية المسميات الجديدة التي تظهر نتيجة للبحث العلمي. ولا يعجز الباحث عن تسمية هذه المسميات الجديدة إذ يمكن أن يلجأ إلى وسائل عديدة للوفاء بذلك. ومن هذه الوسائل أن يلجأ إلى "توليد الدلالات المستحدثة باشتقاقها من ألفاظ اللغة القائمة"[33] ومعنى هذا أن الألفاظ القائمة تعطي دلالات جديدة تخرجها عن دلالاتها السابقة، حيث تصبح دالة على أشياء لم تكن تدل عليها. ويمثل الجاحظ لذلك بالتسميات التي أطلقها الخليل بن أحمد على "أوزان القصيد وقصار الأرجاز، والأعاريض"[34]. وكما فعل "كبار المتكلمين ورؤساء النظارين" إذ "اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في كلام العرب اسم. ولذلك قالوا: العرض

والجوهر وأيس وليس، وفرقوا بين البطلان والتلاشي، وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشباه ذلك"[35]. فوسيلة وضع المصطلحات بنقل الدلالة من الإستعمال الأصل إلى الدلالة المحدثة كانت إحدى الوسائل التي لجأ إليها أولئك العلماء لجوءًا غير متكلف من أجل اختراع أسماء للمسميات الجديدة، ومن الملاحظ أن هذه الوسيلة أنجزت من غير لجوء إلى تنظير، بل لم يزد الأمر إلى مد استعمال وسائل اللغة في التسمية مدًا طبيعيا.

وتتمثل الوسيلة الثانية في ". . . أن يخترع ويركّب من حروفهم ألفاظًا لم ينطق بها أصلاً قبل ذلك. . ."[36]. وهذه الوسيلة وإن كانت أقل من الأولى إلا أنها مما يمكن أن يقوم بها المتكلم للغته من غير عناء. وينقل المسدي في ذلك عن قدامة بن جعفر قوله: "ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذًا في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءً تدل عليها احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماءً اخترعها. وقد فعلت ذلك، والأسماء لا منازعة فيها إذا كانت علامات، فإن قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب فليس ينازع في ذلك"[37]. وتنبع تلك القدرة على صوغ المصطلحات من معرفة العلماء العرب القدماء بأن الصلة بين الإسم والمسمى علاقة اعتباطية غير لازمة، وهو ما يعبر عنه المسدي بقوله: "ويلحُّ الفارابي في هذا المدار على انتفاء صيغة المماثلة بالطبع والخليقة بين مظاهر الكلام البشري على اختلاف أشكاله وما هو موضوع عليه، لذلك تعذر أن تكون علاقة اللغة بمعانيها علاقة محاكاة ولا حتى مقاربة بالتماثل النسبي"[38].

لهذا سهَّل الوعيُ باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول عليهم تصور كون الإنتقال من التسمية السابقة إلى التسمية الجديدة لا يزيد على أعمال الوسائل التي كانت سببا في صوغ التسميات السابقة في المقام الأول، كما يأتي نقل التسميات السابقة إلى مسميات جديدة من وعيهم بأن ". . . الإتساع فاش في جميع أجناس شجاعة العربية"[39] ويَرجع ذلك إلى أن "أكثر

اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"[40]. لذلك فقد صاغوا مصطلحاتهم عن طريق أنواع التوسع في الكلام كالإستعارة والتشبيه وغير ذلك، بل جعلهم وعيهم بحقيقة هذه العلاقة بين الإسم والمسمى يستخدمون المصطلحات الأجنبية، دون أي شعور بالحرج إما معرَّبة أو بأشكالها الأصلية[41]. وينبغي أن نلاحظ هنا أن صوغ المصطلحات لم يكن عملاً منفصلاً عن البحث العلمي بل كان جزءًا لا يتجزأ منه. إذ أن المصطلحات تخلق نتيجة للحاجة إليها أثناء البحث وليست عملاً مستقلا، وسوف نعود إلى معالجة هذه النقطة فيما بعد. واستطاع العرب القدماء نتيجة هذا الوعي بطبيعة المصطلح أن يسهموا إسهامات رائدة في العلوم التي تناولوها دون الحاجة إلى نظريات خاصة لصياغته.

وحين ننظر إلى وضع المصطلح العلمي في لغة مثل اللغة الإنجليزية نجد أن وضع المصطلحات يشبه ما كان يحدث في الحضارة العربية، فقد استقرت اعتباطية العلاقة بين الإسم والمسمى في وعي الدارسين مما مكنهم من إبداع مسميات للمستجدات العلمية الكثيرة من غير أي جهد ظاهر، وكشاهد على ذلك نورد ما يقوله عالم الطبيعيات البريطاني المعاصر ستيفن هوكنج عن مصطلح "الثقوب السوداء": "إن تسمية هذه الأشياء بالثقوب السوداء كانت ضربة معلم من جون هويلر. إن الاسم ليَستَحضر الكثيرَ من أوجه العصاب البشري، ولا شك أن هناك رابطة نفسية بين تسمية الثقوب السوداء وشعبيتها. . ."، و"من المهم أن تطلق اسمًا جديدًا على أحد المفاهيم. . . فان ذلك يعني أن اهتمام الناس سوف يتركز عليه، وإني أفترض أن لاسم "الثقب الأسود" بالفعل ما يكاد يكون نبرة درامية فيها مبالغة، لكن فيه أيضا توصيف لأقصى درجة. إن له وقعًا نفسيًّا قويًّا ويمكن أن يكون منه صورة جيدة لمخاوف الإنسان من الكون"[42]. ويشير هذا إلى أن المصطلح وليد مهارة التخيل والإبداع عند واضعه وليس وليد شروط لغوية معينة تلزم باقتراحه بدل غيره.

وتلعب الإستعارة دورًا كبيرًا في وضع المصطلحات العلمية في اللغات الأوروبية حتى في أدق فروع العلم

كالطبيعيات والكيمياء وعلوم الحياة، فكما تقول آن إيزنبرج فإن الاستعارة "رغم جهود هوبز ولوك والمناطقة الوضعيين خلال الثلاثمائة سنة الماضية لحصرها في دروس اللغة الإنجليزية فقد أصبحت بغتة شيئًا لا مفر منه في الكتابة العلمية"[43] وتمثِّل لأثر الإستعارة في المصطلحات العلمية وتبين أن العلماء لا يتوقفون عن استعمالها في إعطاء دلالات جديدة لكلمات موجودة في معجم اللغة، ويأتي أثر الإستعارة في المصطلح العلمي من كون حياتنا كلها تقوم على الإستعارة كما يقول لاكوف وجونسون[44].

## 10.صوغ المصطلحات:

ولقد توسع الباحثون في صوغ المصطلحات حتى أن كثيرًا منها يأخذ اسم مخترع المسمّى أو مكتشفه؛ وتوجد أعداد هائلة من هذا النوع. كمالم تتحرج اللغة الإنجليزية، مثلها مثل العربية في القديم، من إدخال كثير من المصطلحات الأجنبية دون تغيير. وكمثال على ذلك مصطلحات مثل انتفاضة، و Langueو Perestroïkaو Sputnik وغير ذلك كثير. ويمثّل صوغ المصطلحات عملية إبداعية يقوم بها المتخصص أثناء قيامه ببحثه حين تلجئه الضرورة إلى ذلك، وتقوم هذه العملية على ثلاثة أركان أساسية هي:

أ ـ المعرفة العلمية الدقيقة بالشيء المراد تسميته.

ب ـ القدرة اللغوية وتحوي المعرفة بقوانين اللغة ومعجمها وطرق التعبير فيها.

ج ـ سعة التخيل التي تجعل المتخصص قادرًا في وقت وجيز على الربط بين الركنين الأولين.

ولابد من توفر هذه الأركان الثلاثة كي يتمكن المتخصص من صوغ مصطلحات علمية ملائمة، فمعرفة الشيء المراد تسميته وحدها لاتكفي للعثور على تسمية موفقة، ومن الأمثلة على ذلك تسمية ابن سينا عضوًا معينًا في الحنجرة ـ عندما كان يصف تشريحها ـ بـ "الذي لا اسم له"[45]. فلم تمكنْه معرفتُه بهذا العضو وحدَها من تسميته، وإن سمّاه اسمًا معينًا في

غياب القدرة على صوغ مصطلح مناسب. كما أن القدرة التعبيرية ومعرفة قوانين اللغة وحدهما ليستا كفيلتين بالوفاء بالتسمية في غياب المعرفة الحقيقية بالمسمى. ويكمن سرّ الإخفاق في صوغ المصطلحات العلمية في الإعتقاد بوجود مناسبة بين الإسم والمسمى، لذلك يوجب كثير من المشتغلين بهذا الإهتمام أن يكون المصطلح دالاً على ما يطلق عليه من حيث الشكل أو الوظيفة أو غير ذلك.

وينبع من ذلك تصوُّر وجود علاقة بين المصطلح الأجنبي الذي يراد صياغة مقابل له في العربية وما يدل عليه. لذلك نجد بعض الباحثين يقعون في شرك المصطلح الأجنبي حيث يسد عليهم منافذ التخيل فيظلون له أسرى. ولو عرفوا أن المصطلح الأجنبي نفسه هو في أغلب الأحيان وليد المصادفات الموفقة فحسب، لسهل عليهم إطلاق العنان لخيالاتهم لتبدع مصطلحات مقابلة دون تحرّ دقيق يستغرق وقتًا لالتماس مصطلح مماثل تمامًا لذلك المصطلح الأجنبي.

ويظن أكثر المشتغلين بالمصطلحات أن توفرها في قواميس يؤدي إلى سرعة معرفتها وتعميمها. وهذا غير صحيح؛ إذ أن المصطلح المقطوع عن سياقه قد يؤدي إلى اللبس عند استعماله. كما أن هذا المصطلح نفسه ـ إذا عرفه المتخصص عن طريق القاموس وحده ـ قد يؤدي إلى الحد من قدرته على إبداع مصطلح أكثر دقة في الدلالة على المصطلح الأجنبي. وليست هذه دعوة لأن يكون لكل باحث مصطلحاته الخاصة، فهذا مستحيل. لكن الطريق الطبيعية في معرفة المصطلحات هو انتقالها من متخصص إلى آخر جزءًا في نسيج البحث العلمي؛ وعند اطلاع المتخصصين الآخرين على ذلك البحث وفهمه فإنهم سوف يستخدمون المصطلحات الموجودة فيه في أبحاثهم. وتصبح هذه المصطلحات نتيجة لاستعمالها المتكرر جزءًا من معجم هؤلاء المتخصصين. وهم لا يلجأون في العادة إلى استحداث مصطلحات جديدة للدلالة على ما تدل عليه.

وكثيرًا ما يحدث أن يتنبه المتخصصون إلى بعض العيوب في المصطلح المستخدم، فيبدعون مصطلحات بديلة

فتنتقل هذه المصطلحات الجديدة بالطريقة نفسها التي وصفناها، وتختفي المصطلحات القديمة. ويتبين أن المصطلحات العلمية شأنها شأن الكلمات العادية في اللغة فهي وليدة صفة الإبداع في اللغة، والإبداع في اللغة وليد وجود أفكار يراد التعبير عنها و وليد معرفة لغوية تعين المتكلم على تلمس طرق التعبير في اللغة. ويعتبر غياب المعرفة الدقيقة بما يراد الكلام عنه وغياب المعرفة اللغوية الدقيقة بطرق التعبير في اللغة سبب كثير من المشكلات التي يتحدث الناس عنها فيما يخص نقل العلوم إلى اللغة العربية، بل لاأظن أني أبالغ إن قلت إن المصطلحات العلمية لا تمثّل إلا جزءًا ضئيلاً في الكتابة العلمية، أما الجزء الأكبر فهو ما تحمله اللغة وتعبر عنه بكلماتها الموجودة فيها. وكمثال على ذلك الترجمات التي يقوم بها بعض المتخصصين لبعض الكتب من اللغات الأخرى. ولا تتمثّل المشكلة الكبرى في هذه الترجمات في المصطلحات بل في التعبير الدقيق الواضح عن مضمونها، وبعض هذه المشكلات خارجية لا علاقة لها بالمصطلح نفسه. كما أن كثيرًا منها لا يقتصر على الوضع في اللغة العربية بل هو شائع في اللغات الأخرى ولم يمنع من الإبداع العلمي فيها.

وتتمثّل أولى المشكلات في كثرة المصطلحات التي تطلق على الشيء الواحد، ويعود هذا التعدد إلى عدم اطلاع الباحثين العرب على أبحاث زملائهم الآخرين، ولا أعفي نعرة القطرية وأثرها في الغض من شأن المصطلحات التي لا تصاغ في قطر الباحث المعين. وقد سبب عدمُ التواصل العلمي عدمَ شيوع بعض المصطلحات العلمية الدقيقة وشيوع مصطلحات أخرى أقل دقة. ومن ذلك، مثلاً، المصطلح العربي "علم الأصوات الوظيفي" الذي يقابل المصطلح الأجنبي Phonologie . وفي هذا المصطلح عيوب عدة أولها أنه لا يدل إلا على اهتمام ضيق واحد من الإهتمامات التي يدرسها العلم الذي يطلق عليه، ومع ذلك نجده يشيع في المشرق العربي. وقد اقترح بعض المتخصصين في المغرب مصطلح "الصِّواتة" بدلاً منه، وهو مصطلح أعم وأشمل[46]، لكن هذا المصطلح لم

يشع لعدم اطلاع كثير من المتخصصين عليه وربما يكون ذلك بسبب النعرة القطرية. وكذلك الأمر عن شيوع مصطلح "صوتم" في مقابل Phonème على الرغم من اقتراح بعض المغاربة مقابلاً عربيًّا موفقًا هو "صوتية".

ويصح هذا عن المصطلحات العربية في كافة شؤون المعرفة. ولا يمكن أن يقضى على هذا التعدد في المصطلحات وعدم شيوع المصطلحات الدقيقة إلا بالإتصال العلمي، وهذه المشكلة لا علاقة لها، إذن، بالمصطلح من حيث صياغته اللغوية، بل هي مشكلة خارجية نحتاج في علاجها إلى علاج شأن ليس له علاقة بالمصطلحات. والمشكلة الأخرى التي يبدو أن المهتمين بالمصطلح من العرب لم ينتبهوا إليها هي أن عمل قواميس المصطلحات عمل تاريخي. ويعني ذلك أن الباحثين يقومون بصوغ مصطلحاتهم كجزء من بحوثهم، ثم يقوم المهتم بقواميس المصطلحات بجمع هذه المصطلحات ورصدها، وهو عمل أشبه بالعمل الذي يقوم به المهتمون بقواميس اللغة غير الإصطلاحية. فعمل قواميس المصطلحات ليس عملاً تشريعيّاً سابقًا على البحث بل هو تاريخ لها وحسب، وهذا المقصد واضح من مقدمات قواميس المصطلحات في اللغات الأخرى[47].

ومن ذلك ما يقوله ديفيد كرستال في مقدمة قاموسه: "إننا نحتاج، بالطبع [ في عمل هذا القاموس] إلى استقصاء معجمي شامل يقوم على مبادئ تاريخية، لمصطلحات اللسانيات والأصوات المستعملة في القرن العشرين، ويمكن أن تستخدم لهذا الغرض الوسائل المعتمدة المحكمة التي أنتجت قواميس غاية في الجودة مثل معجم أكسفورد ومعجم وبستر، وتتمثل هذه الأسس في الفحص المضني للنصوص التي توجد في سياقات مختلفة، وتسجيل هذه الكلمات الجديدة ودلالاتها على بطاقات، والربط بينهما متخذين ذلك خطوة أولية كي نمثل أنماط الإستعمال، وهذه الأطر شيء عادي لاستقصاء كلمات اللغة العامة، ويمكن أن تستعمل من غير تغيير، للمفردات المتخصصة مثل مشروعنا الذي نحن بصدده"[48].

وربما يوحي النظر إلى عمل القواميس الإصطلاحية، كأنه نشاط تشريعي يصوغ المصطلحات ويوفرها للباحثين، أن هذه المصطلحات لا تتغير ولا تختفي بل هي صالحة دائما. وهذا تصور خاطئ؛ إذ أن المصطلحات مثلها مثل كلمات اللغة العادية تختفي باختفاء دلالاتها التي صيغت من أجلها. وقد تَسارَع هذا التغير مع تقدم البحث العلمي؛ فمما يعرفه أي متخصص في أي نشاط علمي الآن هو أن كثيرًا من المصطلحات التي كانت سائدة قبل عشر سنوات اختفت ولم يعد يذكرها أحد إلا المهتمون بتاريخ العلوم. ولست في حاجة إلى إيراد أمثلة كثيرة على ذلك؛ فيكفي أن أورد بعض المصطلحات من اللسانيات مثل" (Kernel sentence) الجملة النواة" و" (Raising)الترفيع" و (Pronominalisation) "التضمير"، وغيرها مئات كانت سائدة في الستينيات والسبعينيات للدلالة على بعض الأشياء التي أصبح ينظر إليها بطرق لا يحتاج فيها المتخصصون إلى هذه المصطلحات.

ويوجد أمر آخر له علاقة بالتشريع للمصطلحات، إذ يظن كثير من المهتمين بقواميس المصطلحات أن عملهم سوف يسهّل على المبتدئين معرفة مصطلحات العلم الذي يبدأون في دراسته. وهذا الغرض واضح حتى في مقدمات القواميس المتخصصة حتى في اللغة الإنجليزية. لكن التجربة تؤكد أن كثيرًا من المبتدئين لا يلجأون إلى القواميس المتخصصة، لأنها وإن ساعدتهم قليلاً فإن الطريقة الطبيعية التي يكتسبون بها دلالة تلك المصطلحات هي تلقيها عن أساتذتهم أثناء فترة الدراسة، ويأتي هذا الإكتساب متدرجًا وبطريقة غير واعية في كثير من الأحيان.

ويتصور كثير من الناس أن العرب هم الوحيدون الذين يشتكون من المصطلحات؛ غير أن هذه الشكوى عامة وعلى المستويات كلها، وذلك نظرًا للتقدم العلمي الهائل. فقد تطورت العلوم تطورًا كبيرًا وتجزأت إلى فروع دقيقة، إذ أصبح المتخصص يقضي جزءًا طويلاً من وقته في متابعة ما يجدّ في تخصصه الدقيق، وذلك مايفقده متابعة مايجد في التخصصات

الأخرى حتى القريبة من تخصصه، ويشعره أن مصطلحات تلك التخصصات غريبة ومنغلقة.

ونتيجة لذلك يمكن أن نشير إلى المشكلات الآتية للتمثيل فحسب:

1. تعدد المصطلحات حسب المدارس المختلفة، وقد يؤدي هذا إلى فهم المصطلحات بصورة تخالف ما قصده واضعها الأول، وقد أشار إلى شيء من ذلك، مثلا، جون ليونز في كتابه عن تشومسكي[48] : "إذ أخذت بعض المصطلحات دلالات مختلفة مما أدى إلى كثير من الاضطراب"، وكذلك ما يقوله ديفيد كريستال ووايت بولنجر[49] ومن المصطلحات في اللسانيات التي كانت سببًا في كثير من الاضطراب مصطلحات مثل structure profonde deep structure عند تشومسكي إذ فُهمت على أنها تعني المستوى الدلالي.[50]

2. الفهم الخاطئ للمصطلح نتيجة سيطرة معناه غير الاصطلاحي، مثل المصطلحات " inné , Innate فِطْري" و " Générative توليدي" وغير ذلك.

3. الشعور بأن بعض المصطلحات تتسبب في الإعتداء على حرمة المعاني التي ارتبطت بهذه الكلمات في الحياة العادية، وتتكرر الشكوى من ذلك دائمًا في جميع فروع المعرفة وقد أشارت إيزنبرج إلى هذه المشكلة ومثلت لها باستعمال مصطلحات مثل "لغة"، و"ذاكرة" و"ذكاء" وغيرها من الدراسات المتعلقة بالحاسوب[51].

4. الشعور بأن بعض المصطلحات تخرج عن مقاييس اللغة وذوقها، ومنها "الإسلاموية" وأشباهها، والمصطلحات المنحوتة مثل "زَمَكانية" وغيرها. وهذه الشكوى موجودة فيما يخص المصطلحات في اللغة الإنجليزية أيضا، ومن ذلك ما تقوله ليندا هتشيون عن صوغها بعض المصطلحات مثل " theorize=théoriser ينظِّر"، و totalize=totaliser "يسيطر" و" particularize=particulariser يُخصِّص" و" textualiser= textulize يُنصِّص"، إلى غير ذلك. حيث

أصبحت هذه المصطلحات جزءًا من خطاب مابعد الحداثة، فكما تتطلب الأشياء الجديدة أسماء جديدة، تتطلب المفاهيم النظرية الجديدة أسماء تدل عليها. فالمصطلح" totalize يسيطر" لا يعني فقط "يوحِّد"، ذلك أن هذا المصطلح الجديد يشير إلى علاقات القوة الخفية وراء أنظمتنا الإنسانية humanist=humaine والوضعية التي توحّد أشياء مختلفة، سواء كانت جمالية أو علمية والسبب الثاني لاستعمال اللاحقة izeفي هذه المصطلحات هو التوكيد على مفهوم " process=processusالعمل" الذي يمثل قلب اهتمامات ما بعد الحداثة" [52]، بل إن بعض المصطلحات يمكن أن تخترع لها رموز جديدة في اللغة لم تكن موجودة مثل الكلمات الفرنسية التي نحتها دريدا مثلdifférence ، و déconstruction وغير ذلك [53] . ومثل ذلك أيضًا شيوع المصدر الصناعي عند علماء الكلام الذي أشار إليه الجاحظ مما لم يكن شائعاً في النصوص القديمة.

5. يشتكي كثير من الباحثين من عدم وجود مقابلات عربية دقيقة لبعض المصطلحات الأجنبية، وهذه الشكوى موجودة في اللغات الأخرى، ومن ذلك ما تقوله جاياتاري سبيفاك في مقدمة ترجمتها كتاب دريدا Of Grammatology إلى اللغة الإنجليزية عن صعوبة نقل المعنى التام لكلمة إلى أخرى مقابلة في لغة أخرى، وذلك ما شعر به دريدا نفسه في نقله بعض المصطلحات الألمانية التي استخدمها هايدجر إلى الفرنسية وما شعر به هايدجر في ترجمة تلك المصطلحات في اليونانية إلى الألمانية، وهو الشيء نفسه الذي شعرت به سبيفاك في نقل مصطلحات دريدا الإنجليزية [54] ، وليست هذه هي المشكلات الوحيدة التي يشتكي منها العرب فيما يخص المصطلحات، إلا أننا نجد كثيرًا من هذه المشكلات موجودة عند الآخرين ولم تمنعهم من طرق شتى السبل حتى تعبِّر عمَّا عبَّر عنه الآخرون..

### 11. إنشاء بطاقات مصطلحية:

لما كان المترجم في نهاية الأمر المحرر النهائي للنص، كان عليه في كثير من الأحيان أن يرجع إلى بعض الوثائق لتوضيح معنى النص الأصلي ولإيجاد مصطلحية مناسبة. ويسهم إنشاء البطاقات المصطلحية المختصة في تسهيل عمل المترجم. وحتى تكون البطاقة المصطلحية ناجعة ينبغي أن تجيب عن بعض الأسئلة. ونستوحي هذا المفهوم من النموذج الذي أعده دافيد ج ريد Reed David G [55] بخصوص البطاقة المصطلحية القانونية. إن المصطلح التخصصي الذي ينبغي أن يظهر على البطاقة هو مصطلح ينتمي إلى اللغة القانونية والإقتصادية والعلمية، ويمتلك شحنة معنوية تقنية في سياق تقني. ويفضل تسجيل مختلف التراكيب التي ترافق مختلف المصطلحات لنرى كيف تستخدم هذه اللغة التخصصية، ويمكن على سبيل المثال تسجيل مصطلحات:

- دعوى: (في المحاكم) -Action–
- عمل دبلوماسي: (في الدبلوماسية)- Action- diplomatique
- "إقامة/ رفع دعوى" وليس "قام بدعوى" - Intenter une action contre quelqu'un-

وتحمل أحياناً بعض كلمات اللغة العامة التي توضع في سياق خاص شحنة معنوية قانونية. مثال ذلك كلمة Gratuit في عمل مجاني/ عمل تبرع (في القانون المدني) Acte à titre gratuit، وكلمة caché في: عيب خفي (نقص في صفة الشيء المبيع أو المؤجر) vice caché . وينبغي أن تجد المصطلحات المتممة Les termes accessoires مكانها في معجم خاص باللغة القانونية بسبب استخدامها بشكل دائم، ومن هذه الوحدات: يعتبر Considérant que حيث إن، لما كانت، بما أن Attendu que .

ويستند قرار شمل أو استبعاد أي مصطلح إلى عدة عوامل، إذ ينبغي معرفة إن كان المصطلح على علاقة مع جذر وحيد، أي مع كلمة أخذت معنى واحداً فقط:

الحقل1: المصطلح المدخل في اللغة الأصل.

الحقل2: المقولة النحوية للمصطلح المدخل.

الحقل3: مصدر المصطلح المدخل.

الحقل 4: رمز الدولة الأصلية للنص الذي تم تسجيله أو الدولة التي تم استخدامه فيها.

الحقل 5: تعريف المصطلح المدخل كما ورد في نص مختص (وفي حال عدم وجود تعريف، وضع المصطلح المدخل في سياق تعريفي).

الحقل 6: مصدر التعريف أو السياق التعريفي.

الحقل 7: الوظيفة المعجمية للمصطلح المدخل، أي علاقته مع باقي مفردات اللغة في القانون والإقتصاد.

الحقل 8: العائلة المفهومية للمصطلح المدخل. إذا كان المصطلح اسم الجنس لأحد المفاهيم فما مكوناته المختلفة؟

مثال: في العائلة المفهومية للمفردة Contrat هناك accord اتفاق/ عقد، convention تعاقد، ententeتفاهم/ وفاق، obligation التزام، pacte اتفاقية، ميثاق، عهد.

المترادفات الحقيقية: هي مفردات قابلة للتبادل مع المصطلح المدخل في كل السياقات وعددها محدود جداً.

الأضداد الحقيقية: هي المقابلات الدقيقة للمصطلح المدخل.

المضطلعون المحتملون للجذر: أي الأشخاص الذبن يشاركون في العقد المتوقع: البائع، والمشتري مضطلعا فعل "يشتري". فهناك l'actant-agent المضطلع القائم بالفعل-l'actant objetالمضطلع المفعول به. مثال Fiduciaire : ائتماني (هو الذي أُوصي له بمال، وفُرِضَ عليه دفعه إلى المستحق العهدي)

و Bénéficiaire(المستحق العهدي)، وهما المضطلعان بالجذر fiducie عقد، استيثاق (عقد يلتزم به مشتري العقار ظاهراً بأن يرده إلى البائع حينما يفي له بالإلتزامات التي قطعها على نفسه نحوه). ويوازي القسم الثاني من البطاقة القسم الأول، إلا أنه يغطي الوصف اللغوي للترجمة إلى العربية:

- يشغل المجال القانوني الذي يستخدم فيه المصطلح المدخل حقلاً بأكمله.
- ويخصص حقل آخر للأحرف الأولى لمعد البطاقة.
- ويشير حقل آخر إلى تاريخ البطاقة.

وفي الآخير، يمكننا العودة إلى هذه البطاقات المصطلحية لاستغلال المعلومات والمصطلحات الواردة فيها مع ترجماتها من أجل إنتاج معاجم علمية تفي بأغراض نقل العلوم ومصطلحاتها بدقة متناهية، حتى أنها لتبدي أن المصطلح المعرّب قد ورد نتيجة الأبحاث العربية المتطورة لانتيجة الترجمة والتعريب فحسب. ومن هنا، نتحصل على عدد من المعاجم العلمية العربية الدقيقة التي تفي بأغراض نقل العلوم والمصطلحات العلمية المتخصصة الواردة باللغات الأجنبية في الدول المتطورة إلى اللغة العربية التي ابتعد أصحابها عنها، ونعتوها بلغة الشعر لالغة العلم متناسين العلوم العربية الكثيرة التي تمت ترجمتها إلى اللغات الأجنبية، وما "مقدمة ابن خلدون" إلا مثال عن تلك العلوم التي ابتكرها العرب وترجمها الغرب دون تحرّج من أجل الإستفادة منها. فمتى نفيق من الغفلة ونمنح الترجمة وتعريب العلوم وتدريس المصطلحية في المعاهد والجامعات العربية نصيبها الوافي من الإهتمام؟

إن العوز الذي تعاني منه اللغة العربية في المصطلح العلمي ونقل اللغات المتخصصة بمصطلحاتها المتخصصة، من اللغات الأجنبية المبتكرة للعلوم والمعارف المتطورة إلى اللغة العربية إنما هو نتيجة قصور دارسي اللغة العربية وأهلها عن العمل بها في المجالات العلمية المتخصصة، لانتيجة قصور اللغة العربية في حد ذاتها، ذلك أن بعض اللغات التي شارفت

على الإندثار والموت أعانها أهلها على العودة إلى الحياة بقوة، ولعل أبرز مثال في هذا السياق هي اللغة العبرية التي لم تكن حتى لغة قائمة بذاتها، وإنما ساعدها تمسّك أهلها بها وترجمتهم للعلوم والمعارف إليها وتقنين التدريس وصوغ كل مراسيم الدولة بها في قيامها كلغة رسمية تعترف بها حتى الدول الأجنبية، التي تستصغر بالمقابل اللغة العربية رغم شساعة الرقعة الجغرافية للدول العربية، والعدد الهائل لمستعمليها، الذين فضّلوا البقاء سلبيين دون المساهمة في تفعيل العمل بها وإثرائها باستغلال الأساليب المتنوعة التي تزخر بها كي تواكب الرقي الحضاري.

## 12.خاتمة:

اللغة نظام يمكنه دائمًا أن يحفظ توازن،ه فهي غنية بطرق التعبير وبنوع الصيغ مما يجعل المبدع غالبا في غنى عن ابتداع ما يخالف المقاييس المعهودة. أما ما يخرج عن المقاييس المعهودة في بعض الأحيان فيمكن أن تتمثله اللغة ويصبح بعد فترة شيئًا طبيعيًّا فيها. ومع ذلك فإن اللغة بما توفره من مساحة كبيرة للحرية تؤدي إلى اختفاء بعض ما يخرج خروجًا بينًا عن طرائقها وقوانينها . إن النقل اللغوي للعلوم والتقنيات ينبغي أن يتكيف مع البنية المنطقية للغة العربية ليكون قابلاً للتلقي، فالعقبات الحقيقية في مجال اللغات المتخصصة لاتكمن في فيض المصطلحات التي تشير إلى الشيء نفسه، وإنما في انتقال البنى الأجنبية إلى العربية، ويتضح ذلك على مستوى الإقتراض الدلالي، وعلى المستوى التركيبي. ويمكن التحدث هنا عن ظاهرة التأثير المتبادل إذ تتم عملية وضع المفهوم في اللغة العربية وفق أنماط اللغة الأصل. ففي زمن العولمة الاقتصادية والثقافية الذي تسعى فيه اللغة الإنجليزية لأن تكون اللغة المسيطرة في القرية الكونية المفتوحة على جميع المجالات والإحتمالات، لم تعد ملاءمة المصطلح العلمي العربي وضرورة الوقاية من العدوى الدلالية والتركيبية بحاجة إلى برهان.

ولاتمثّل المصطلحات العقبة الكبرى في سبيل مواكبة اللغة العربية للتطورات العلمية المعاصرة. أما ما يشعر به كثير من المهتمين بالمصطلحات من مشكلات فهي لا تتعلق بالمصطلح نفسه بقدر ما تتعلق بأمور خارجية، مثل عدم الاتصال بين المختصين وعدم السهولة في الحصول على المعلومات المتوفرة، وأكثر الطرق المقترحة للتغلب على مثل هذه المشكلات لا تجدي نفعا: وذلك مثل إصدار قرارات إدارية تحاول إلزام المختصين بمصطلحات معينة، أو أن تقوم جهة معينة بإيجاد هذه المصطلحات وتوفيرها في شكل قواميس. ويمكن التغلب على هذه المشكلات بتسهيل الاتصال وتبادل المعلومات بين المختصين، والتخلي عن النعرة القطرية في تفضيل بعض المصطلحات على بعضها الآخر.

أما المشكلات الأخرى، فإن العرب ليسوا الوحيدين الذين يعانون منها، لكن الأمم الأخرى تمكنوا من استحداث سبل لم تعهدها لغاتهم للتعبير عن الأشياء الجديدة واختراع كلمات تخرج عن القوالب الصرفية المعهودة في لغاتهم. إنني لا أقلل من مشكلة المصطلحات ولا أدعو إلى إطلاق الحبل على الغارب فالمصطلحات مهمة جدًّا وهي مفاتيح العلوم وأدوات نقلها، ويعاني المتخصصون لإيجاد مصطلحات عربية للدلالة على المستحدثات، لكن مصدر هذه الصعوبة لا يكمن في اللغة بل في المهتمين أنفسهم، إذ لا بد من التمكن من العلوم الحديثة ومن قواعد اللغة العربية وقوانينها وطرق التعبير فيها. كما أنه لا بد من أن يشعر كل واحد من هؤلاء أن اللغة أداة إنسانية يمكن للإنسان أن يبدع فيها متى شاء، وهذا ماينمي ثقته بنفسه بدل أن يظل تحت وطأة الخوف الدائم من الوقوع في الخطأ.